بعض التحديات التي تواجه الإسلام في الجنوب الإفريقي

■ د. السماني النصري محمد أحمد
نائب مدير مركز الدراسات السودانية والدولية
جامعة الزعيم الأزهري ، الخرطوم - السودان

Abstract:

This study is an attempt to shade light on the situation of Islam, and the hinders that faced the spread of Islam in Southern Africa that in respect to the late spread of Islam in Southern Africa.

The study aimed to show the most important challenges that confront the spread of Islam in this area, and according to the study it is squeezed into two main hinders, Christianity and Jusism.

مستخلص:

هذه الدراسة تحاول إلقاء الضوء على وضع الدين الإسلامي، وتحديات انتشاره في منطقة إفريقيا الجنوبية التي تؤخر دخول الإسلام إليها مقارنة ببقية أقاليم القارة الأخرى ، ذلك على الرغم من سهولة مبادئ الدين الإسلامي، ووضوح خطابه وقدرته على تلبية حاجات البشر الدنيوية والأخروية .

وهدفت الدراسة للتعرف على أهم التحديات التي واجهت انتشار الإسلام في هذه المنطقة ، والتي تنحصر وفقاً للدراسة في تحديين أساسيين هما :

- *التحدي المسيحي .*
- *التحدي الصهيوني .*

واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي لبيان أثر هذه التحديات على تغلغل الإسلام وانتشاره بين

مجتمعات الجنوب الإفريقي .

وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج تمثلت في أن القارة الإفريقية تعتبر ساحة للصراع بين الإسلام ودعاة النصرانية من جهة ، والإسلام والحركة الصهيونية العالمية من جهة أخرى . كما أشارت الدراسة إلى وجود تحالف تاريخي بين البعثات التبشيرية العاملة في إفريقيا والاستعمار الغربي ، وقد اتخذت حملات التنصير التي نظمتها الكنائس الغربية وسائل اقتصادية في استمالتها للشعوب الإفريقية وبذلت في سبيل ذلك الكثير من الأموال .

أما الصهيونية فقد تبلورت أهدافها بصورة واضحة في المساعي الإسرائيلية للتغلغل في إفريقيا ، ومحاولة إيجاد روابط مع شعوب القارة من خلال الاستناد إلى العلاقات التاريخية بين اليهود ونبي الله موسى عليه السلام وإفريقيا ، وتستخدم إسرائيل في صراعها مع الإسلام جملة من الأدوات السياسية والآيديولوجية كفكرة استخدام إسرائيل كجسر يربط بين العالمين النامي والمتقدم.

وجاءت أهم محاور الدراسة كما يلي :

- *لتحدي المسيحي وأثره على انتشار الإسلام في الجنوب الإفريقي.*
- *التحدي الصهيوني وصراعه مع الإسلام في الجنوب الإفريقي.*

مقدمة :

منذ أن ظهر الإسلام واجه الكثير من التحديات، تغلب عليها أحيانا بفعل القوة المعنوية التي يكتسبها المسلم من الإسلام، وأحيانا أخرى بعجز الديانات الأخرى عن تقديم حلول وإجابات تشبه ما يقدمه الإسلام، وتعتبر منطقة (الشرق الأوسط) وهي المنطقة التي ظهرت فيها اغلب ديانات البشرية السماوية منها والوضعية، منطقة صراع دائم بين الأديان ومعتنقيها وقد واجه الإسلام حركة معارضة قوية جدا قادها اليهود والنصارى وامتدت هذه المعارضة حتى يومنا هذا، ويشكل التنصير والصهيونية الوجه الحديث للتآمر القديم الذي مارسه أعداء الإسلام منذ ظهوره.

يقصد بالجنوب الإفريقي المنطقة الجنوبية لقارة إفريقيا والتي تشمل عشر دول هي أنجولا،

بتسوانا، ليوسوتو، ملاوي، موزمبيق، ناميبيا، جمهورية جنوب إفريقيا، سوازيلاند، زامبيا وزيمبابوي، وقد تأخر كثيرا وصول الإسلام إلى هذه المنطقة مقارنة بباقي أجزاء إفريقيا، بعض هذه الدول لم ينتشر فيها الإسلام حتى نهاية القرن العشرين بينما وصل إلى البعض الآخر في منتصفه، أما الدول المطلة على الساحل فقد عرفت الإسلام منذ وقت مبكر.

تقول ايبيانك ساراواك: (ليس من عقيدة دينية أسهل من العقيدة الإسلامية، وليس من قوة معنوية في الوجود أشد من قوة الإسلام، لذا كان انتشار الإسلام في القارتين الآسيوية والإفريقية يتوسع بصورة دائمة ومباشرة أي بدون بعثات ولا مبشرين)[1]. ويرجع ذلك لسهولة مبادئ الدين الإسلامي ووضوحها وخطابها المباشر للإنسان وقدرة الإسلام على تلبية حاجات البشر في الدنيا والآخرة، لأنه يقدم الأجوبة الشافية المقنعة لكثير من الأسئلة التي تقلق مضجع الإنسان.

مع ذلك فقد واجه الإسلام في منطقة الجنوب الإفريقي كثيراً من التحديات، بعضها يتعلق بالمؤثرات الخارجية والآخر بالعوامل الداخلية، وتمثل فترة الاحتلال الأوربي قمة التحديات بدخول النشاط ألتنصيري إلى إفريقيا، كما أن النشاط الصهيوني الحديث والمعاصر يشكل الذراع الأخرى في مقاومة المد الإسلامي في المنطقة.

التحدي المسيحي:

تعرف الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب التنصير بأنه حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور أثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث وبين المسلمين خاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب[2].

هذا التعريف يعتبر تعريفا عاما يلخص أسباب وأهداف حركة التنصير في العالم أجمع ولكن حقار محمد أحمد يعرف التنصير من واقع سياسته في إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء بصورة خاصة بأنه حركة دينية سياسية تجارية ممهدة للاستعمار ومتفاعلة معه، مباركة له، وهادفة إلى ذوبان وصهر الهوية والشخصية الإفريقية في حالتها الإسلامية أو الوثنية في الشخصية الأوروبية، دون المساواة بينهما في الحقوق، وهادفة أيضا إلى احتكار التجارة والتعليم والقيادة السياسية ومؤسسات تكوين الكادر الإداري والتعليمي والسياسي، ومنع الإسلام من التقدم إلى المناطق الوثنية، وخلق كادر محارب للإسلام واللغة العربية الفصحى وتكريس فكرة أن الجنس الأوروبي هو ولي أمر الجنس الإفريقي الأسود بشكل غير مباشر[3].

وضح للمسيحيين بأن الدين الإسلامي هو المنافس الحقيقي للنصرانية فى منطقة الجنوب الإفريقي، وأن المسلمين كمٌ هائل من البشر، وفي ازدياد مضطرد، لهذا اتجهت أنظار المنصرين نحو المسلمين بغرض تنصيرهم في أول الأمر، ولما صعب عليهم ذلك مالوا إلى بذل قصارى الجهد

لتشكيك المسلمين في دينهم، أو تحييدهم في أمور الدين واستعملوا لذلك وسائل التنصير العامة بل استحدثوا وسائل جديدة خاصة للتأثير على المسلمين[4]. وقد لاحظ النصارى سرعة قبول الناس للإسلام في الجنوب الإفريقي وما يمنحه للمعتنق الجديد من شعور بالقوة والعزة والمساواة أمام كل الخلق، الأمر الذي أزعجهم ومسّ مكانتهم الدينية (الرفيعة) وخدش (كبرياءهم) الزائف وعرّض مصالحهم للخطر.

يبدأ تاريخ التنصير في إفريقيا ربما منذ ظهور المسيحية، أي في القرن الأول الميلادي منذ أن أسس القديس مرقص الإنجيلي كنيسة الإسكندرية، وقد مرت حركة التنصير بتطورات ومراحل عدة منذ ذلك الزمن ولازالت حتى الوقت الحاضر تتطور وتتفاعل وتغير أسلوبها مع تغير الظروف والمستجدات والأحداث، ولكنها ظلت في جوهرها، هي حركة التنصير التي عناها النصارى الأُول ومنذ أن ظهر الإسلام و بدأت حركة انتشاره الكبرى في العالم القديم بدأ الصراع بينه وبين النصرانية وخاصة في الميدان الإفريقي، وهو صراع لم تخمد جذوته يوما من الأيام ولا تزال هذه الجذوة متقدة [5].

كانت الملكة الاسبانية إيزابيلا من أشد المتحمسين لحرب المسلمين وقد تركت وصية قبيل وفاتها في سنة 1504م قالت فيها (إنني أرجو من ابنتي الأميرة وزوجها الأمير وآمرهما بإطاعة وصايا الكنيسة أمنا المقدسة فعليهما أن يقوما بحمايتها وألا يكفا عن متابعة فتح إفريقيا ومحاربة (الكفار) المسلمين[6].

إفريقيا ساحة هامة من ساحات المواجهة بين هذين المتصارعين، والواقع أن الصراع الراهن حول إفريقيا هو في جوهره مواصلة للصراع القديم بين الشرق ممثلا في حضارة الإسلام وبين الغرب ممثلا في المسيحية والحضارة الغربية وقد كان هذا الصراع منذ البداية صراعا مصيريا لا هوادة فيه، لعب فيه الفكر دورا لا يقل عن دور الجيوش[7]. وكانت منطقة الجنوب الإفريقي أقل مناطق إفريقيا تأثرا بالإسلام لذلك ركزت الكنيسة معظم جهودها في هذا الإقليم علها تحقق ما عجزت عن تحقيقه فى مناطق إفريقيا الأخرى. وكان الشرق هو الطرف المهاجم في سلسلة الصراع بين العالم الغربي والمسيحي في الوقت الذي كانت فيه السيادة للمسلمين[8].

يرتبط في أذهان المسلمين الاستعمار مع التبشير المسيحي ومع الحروب الصليبية ؛ ولا عجب فعندما دخل الجنرال إدموند اللينبي سنة 1917م القدس أعلن أن الحروب الصليبية قد استكملت الآن، وعندما دخل الفرنسيون دمشق سار قائدهم إلى قبر صلاح الدين الأيوبي وخاطبه قائلا:(هانحن قد عدنا يا صلاح الدين) فالتبشير كان يساعد الاستعمار وحاول إضعاف الثقافة الإسلامية في البلاد التي حكموها[9]. وتأثرت بذلك دول الجنوب الإفريقي خاصة الساحل الشرقي.

ومن الواضح أن المخططات التبشيرية الموضوعة منذ القرن العشرين وحددت نهايتها بوضع حد لانتشار الإسلام جنوب خط الاستواء بما فيها منطقة الجنوب الإفريقي، تسير بخطى حثيثة على طريق التنفيذ وكان من ضمن ذلك تقسيم السودان إلى مناطق تبذل بمقتضاها الجمعيات التبشيرية في جبال النوبة والإنقسنا والجنوب أقصى جهودها لتحضيرها لهذه المرحلة، وتنتهي بإقامة دولة مسيحية في الجنوب تحول دون أي مد إسلامي جنوبا. بينما يكون سعي المبشرين في مناطق المسلمين إلى زعزعة إيمان المسلمين، وقد كان هذا التوسع النصراني على حساب الإسلام يتم في صمت ودون ضجة بل وكان يصحبه دعاية ضخمة بأن الإسلام ينتشر بسرعة في إفريقيا بغرض طمأنة المسلمين ودفعهم للاستكانة والدعة والحكم بأن الإسلام يتقدم بقوته الذاتية أمام المسيحية[10].

مع تولي كارول فوجيتيلا (Karol.Wojetyla) البابا السابق يوم 1978/10/16م ولدت مرحلة جديدة في حياة الحركة النصرانية في إفريقيا. وقد أشتهر هذا البابا بتعصبه وحماسه الشديد لمبدأ سيادة المسيحية على كل العالم ونشر الإنجيل بين كل الناس حتى بين معتنقي الديانات الأخرى بما فيها الإسلام[11].

وضع البابا خططا كثيرة للوصول إلى تحقيق أهداف الشعار الذي رفعه يوم 1993/2/19م أمام كرادلة روما، وفي هذا الاجتماع طلب البابا من الحضور وكان عددهم 1800 كاردينالا من جميع أنحاء العالم رأيهم في إطلاق شعار (تنصير إفريقيا في عام 2000) ووافق الحضور على رفع هذا الشعار وخصصوا ميزانية أولية بلغت 5،3 مليار دولار أمريكي ولم يلق البابا معارضة تذكر في إطلاق هذا الشعار، غير أسئلة طرحت من قبل بعضهم حول أمر ردود الفعل النفسية العكسية إذا لم يحقق هذا الشعار أهدافه فقال البابا: (أن هذا الشعار يعد وسيلة تعبئة للنصارى في العالم، فإذا حققنا عشر الأهداف التي حددناها نكون قد حققنا شيئا كثيرا في هذه القارة المعرضة « للخطر الإسلامي) [12].

هذا التصريح يعكس مدى تعصب هذا البابا وخوفه من قوة المد الإسلامي الجارف، ومحاولاته لوقف انتشار الإسلام في إفريقيا وحشده الطاقات للتنصير في قارة إفريقيا للحيلولة دون اعتناقها للإسلام، لذلك كان التركيز على الجنوب الإفريقي لأن الإسلام لم ينتشر فيه بصورة كبيرة. وربما تكون النصرانية قد حققت شيئا من النجاح يستشف ذلك من حديث جيرالد سوانك حيث يقول وفي تعصب واضح: (لقد تحولت الأوضاع النصرانية الإسلامية خلال ربع القرن الماضي من وضع كان فيه الإسلام ينتشر سريعا بتحويل الناس إليه، إلى نمو سببه الرئيسي هو الزيادة السكانية، والكتاب المقدس النصراني يصل الآن إلى المجموعات الأرواحية كما تتوطد الكنيسة بسبب ارتباك الإسلام، وفي ظني فإن عدة عوامل قد تضافرت لإحداث ذلك:عرض الكتاب المقدس ولا زال يعرض بصورة

ملموسة، العلمانية خيار آخر فتح أعين المجموعات الأرواحية على العالم الواسع حيث إن الإسلام لا يعطي الإجابة عن حاجاتهم أو أسئلتهم حول الحياة، انتشار التعليم الغربي بصورة واسعة والإسلام لا يستطيع أن ينافس في ذلك العالم الحديث) [13].

إن الكنائس منذ زمن بعيد وبعد دراسة وتجارب رأت أن أنجح الوسائل لبث تعاليم الإنجيل هو تنصيب أساقفة في كل إقليم من أبنائه وفي كل قبيلة من أبنائها، وقد لاقى هؤلاء القساوسة بين ذويهم نجاحا تاما لم يلقه غيرهم، وقد دخل المسيحية بدعوتهم أعداد من سكان الجنوب الإفريقي لم تظفر بمثلها الإرساليات هذا لأنهم يعرفون لغات قبائلهم وطباعهم وميولهم، ورأينا أن الجماعات والفرق المسيحية تنفق على تعليم هؤلاء القساوسة أموالا طائلة[14].

استفادت النصرانية كثيرا من دروس الماضي. ونظروا إلى حربهم معنا بالسيف فرأوها حربا خاسرة لا طائل من تحتها وأن دخولهم في معارك حربية دموية لن يكسبهم إلا انكسارا ونكالا. وقد جربوا الحرب معنا وذاقوا المرارات في معاركهم، وعادوا بالخسائر الفاضحة والساحقة معا، ورأوا وشهدوا من بطولات رجالنا وشبابنا وقوة الشكيمة في جيوشنا المظفرة ما جعلهم يتركون المعارك بالسيف ويفكرون في طرق أخرى، ونظر هؤلاء أول ما نظروا قادتهم وكبراؤهم وعقلاؤهم الأذكياء إلى سر العظمة في هذه الأمة الإسلامية. ثم أجمعوا أمرهم ودبروا كيدهم وقالوا: (تعالوا نهدم بنيانهم بهدم إسلامهم فنحاربه من نفوسهم ونضعفه في قلوبهم وننفرهم منه ونبعدهم عنه ونشغلهم بمبادئ أخرى ونفرق كلمتهم ونشتت شملهم، ونرجعهم كما كانوا قبل الإسلام، أمما وشعوبا وقبائل وعشائر وفصائل. وعملنا هذا كفيل بسيطرتنا عليهم. واستيلائنا على ديارهم وانتصارنا على قواعدهم وحصونهم. ومن هنا يأتون ولا يمكن أن ننتصر عليهم أو نتغلب عليهم في معركة مهما قوينا ومهما أعددنا لها من عدة وعدد ماداموا ملتفين حول شريعتهم وهي سر عظمتهم فعلينا بهدمها، وهدمها كفيل بهدم بنيان المسلمين في كل مكان) [15].

هذا التفكير الذكي الماكر اتعظ بالهزائم العسكرية المتلاحقة التي مني بها الغرب ونقب عن السر العظيم لتفوق المسلمين، ووضع خطته الخبيثة بناء على هذه النتيجة، خطة لا تقوم على إبادة المسلمين ولا على احتلال أراضيهم، وإنما تقوم على إبادة الإسلام نفسه واقتلاعه من نفوس أبنائه وضمائرهم، أو تقليص دائرته وعزله عن واقع الحياة. إذ تحول الصراع من حرب المسلمين إلى حرب العقيدة الإسلامية ذاتها، تغيرت ملامح وجوانب المعركة، ولم يعد ميدانها الرئيسي الأرض ولكنه العقول، ولم تعد وسيلتها السيف بل الفكر[16]. لذلك سعوا إلى تحويل منطقة الجنوب الإفريقي إلى أوربا من خلال الاحتلال الاستيطاني.

قام النصارى بمراقبة العالم الإسلامي والتجسس عليه وجس نبض الأمة ورصد المنظمات

الإسلامية وما تقدمه من دعم للمسلمين في دول الجنوب الإفريقي، وقد ثبتت صلة الإرساليات التبشيرية بدوائر الاستخبارات الدولية؛ وهو المفروض والمتوقع ما دامت الغاية واحدة[17]. وكثير ما يلعب المبشر دور رجل الاستخبارات حيث يقوم بإمداد بلده بمعلومات أمنية و سياسية واقتصادية واجتماعية عن البلد الذي يعمل فيه وتحصل الإرساليات على دعم الحكومات نتيجة لهذه الخدمات التي تقدمها الإرساليات التبشيرية.

المسلمون بعرف الكنيسة الغربية هم متأخرون جاهلون وهمجيون، والإسلام بنظرها دين قومي كبقية الأديان الصينية. ولا تزال خطيئة كبرى دخول المسجد أو معرفة الإسلام معرفة جلية. وقد صوّر الكتاب الكاثوليك – وهو أكثر المذاهب انتشارا في دول الجنوب الإفريقي – الإسلام في ظلام تشعر معه أنه دين متأخر لا يصلح إلا للشعوب المتأخرة والهمجية التي يجب أن يخلصها بواسطة التنصير لأن اعتناق المسيحية في نظرهم يهذب الشخص المتوحش[18]!!!

جاء في النشيد الإيطالي ما يلي « أماه لا تبكي، بل أضحكي وتأملي، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني، أنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا لأبذل دمي في سحق الأمة الملعونة، ولأحارب الديانة الإسلامية، سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن، إن سألك أحد عن عدم حدادك عليّ فأجيبيه: أنه مات في محاربة الإسلام، الطبل يقرع يا أماه، ألا تسمعين هرج الحرب؟ دعيني أعانقك وأذهب [19]». يدل هذا النشيد على مدى عمق التفكير بضرورة محاربة الإسلام عند النصارى كما يدل على أن الاحتلال الأوربي كان عملا صليبيا دمويا.

يقول جيرالد سوانك وهو أحد المشاركين في مؤتمر كلورا دو، إن الإسلام قد تمكن من إفريقيا وأن 14 دولة من مجموع 48 دولة تخضع لتأثير الإسلام بشكل كبير وأن للإسلام إمكانية واضحة للامتداد والتوسع في هذه المناطق كلها.. وتعني عبارة الإعلان عن الإيمان تلك النسبة المئوية للنصارى في مقابل النسبة المئوية للمسلمين في هذه الأقطار التي تمت أسلمتها، ويجب أن تأخذ في الاعتبار أن النسبة المئوية الواردة في التقرير لا تعني بالضرورة أنهم مؤمنون إنجيليون، لأنه استنادا إلى إحدى التقديرات فان 20% فقط من الذين يعلنون نصرانيتهم يمكن اعتبارهم نصارى ملتزمين[20].

وهذا يؤكد ما ذهب إليه البروفسير حسن مكي[21] عندما وصف بعض المسيحيين بأن وجدانهم في مرحلة التشكل وأن انتماؤهم للمسيحية اسمي فقط وأنهم لا يشاركون في الطقوس المسيحية، وهذا ينسجم مع موقف مرّ مع شخص ناميبي المولد يعيش في جنوب إفريقيا في إثيوبيا نهاية الثمانينيات حيث ذكر ذلك الشخص أن أمه مسلمة وجدّته مسلمة وان أبوه مسيحي وهو أيضا مسيحي لكنه لا يعرف شيئا عن المسيحية، وليست لديه الرغبة لمعرفة أي شئ عنها وأنه لم يدخل كنيسة قط في حياته ولم يؤدِّ أي طقوس دينية مسيحية.

مازال تنصير المجتمعات الأرواحية مهمة أساسية بالنسبة للإرساليات التنصيرية في وسط وجنوب إفريقيا، وتقوم الكنيسة بإجراء أبحاث في عدة دول من أجل توسيع العمل وسط المسلمين ويقول سوانك: (ولا زالت الحاجة قائمة لكثير من العمل في هذا المجال، وحتى لا نكون كالذي يغلق الحظيرة بعد أن تسرق الخيول يجب التمسك بالخيارات جميعها) [22].

والمسلمون يعملون بقوة إيمانهم على صد تيار المسيحية فوقع من جراء ذلك تشاد بين هاتين الديانتين، وما زالت آثاره باقية إلى عصرنا الحاضر، وستبقى كذلك قرونا عديدة ما دامت أوروبا المسيحية عاجزة عن نشر ديانتها بين المسلمين[23].

خطة تنصير المسلمين في إفريقيا التي ناقشها مؤتمر كلورا دو تقوم على الدراسات الإحصائية المبنية على إستبانات مصممة تصميما جيدا، والمبنية أيضا على جهود بعض الباحثين من المنصرين ومنهم علماء إحصاء وعلماء اجتماع وعلم نفس ومؤرخون ومستشرقون..الخ، وعلى سبيل المثال أجرى الباحث المنصر(جيرالد سوانك) بحثا مقارنا بين وضع الإسلام والمسيحية في جنوب ووسط إفريقيا، فقال في مقدمة البحث إن إستبانة قدمت للعاملين في حقل التنصير في المنطقة تحتوي على الأسئلة الآتية[24]:

1) ما نسبة المسلمين الذين بلغتهم دعوة النصرانية في المنطقة التي تعمل بها ؟
2) ما نسبة الذين فهموا الكتاب المقدس سواء آمنوا به أو لم يؤمنوا به؟
3) هل توجد مجموعة سكانية لم تصلها الدعوة ؟
4) كم عدد العاملين المتخصصين للعمل وسط المسلمين؟
5) ما الفرص المتوقعة لنجاح منصرين جدد، حدّد النسبة أو الرقم ؟

ومن ثم يشير الباحث إلى أن المنطقة التي شملها بحثه بما فيها دول الجنوب الإفريقي تضم 213 قبيلة بعضها أسلم تماما بكامله، بينما البعض منها أسلم غالبية أفرادها، ويذكر كذلك بأن إسلام بعضهم كان صوريا كما أن بعض المسيحيين غير ملتزمين.

في مؤتمر تنصيري أقامته الكنائس البروتستانتية ودعت إليه غيرها من الكنائس الأخرى، وتبنته لجنة التنصير في لوزان بالاشتراك مع منظمة التصور الدولية ومركز الاتصالات والدراسات المتقدمة لإرساليات التنصير التابع لها، المشاركون تم اختيارهم بعناية فائقة وبلغ عددهم 150 من رؤوس الرأي والفكر وتتكون من النخبة من المنصرين العاملين في الميدان، أكاديميين ومستشرقين لاهوتيين وأساتذة جامعات في علوم الاجتماع و النفس والدراسات اللغوية ومن خبراء ومستشارين وأمنيين ودبلوماسيين، الأبحاث في هذا المؤتمر بلغت أربعين بحثا في شتى الموضوعات[25].

هذا الإعداد للمؤتمرات يميز أعمال التنصير عند المسيحيين عن عملية الدعوة عند المسلمين.

المسلمون في مؤتمراتهم لا يستعينون كثيرا بأصحاب العلوم المساعدة من العلماء المسلمين في المجالات المختلفة، بل إن بعض قادة العمل الإسلامي والدعوة الإسلامية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي يعتقدون أن العلوم الحديثة هي من أوجه النصرانية ويجب محاربتها ناهيك عن الاستعانة بها في إعداد دراسات عن المجتمعات الإسلامية وغيرها، وهذا ما تفوقت فيه المسيحية التي قامت بدراسة أحوال سكان إقليم الجنوب الإفريقي دراسة علمية شاملة.

يعبر القس صمويل زويمر عن النوايا السيئة التي يحملها التبشير للإسلام والمسلمين فيقول: (لا ينبغي للمبشر المسيحي أن يفشل أو ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية، ولكن يكفي جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم، فعندما نذبذب مسلما وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحا، يا أيها المبشر المسيحي يكفي أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحيا) [26]. ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث، وقال أيضا في مؤتمر القدس التنصيري عام 1935: (لكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريما، إنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق الحميدة التي تعتمد عليها الأمم في حياتها). ويقول القس المتعصب زويمر رئيس مؤتمر القدس التبشيري: (لقد قبضنا أيها الأخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الدول الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية، والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء أنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد، إنكم أعددتم نشأ لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل وليس همه في دنياه إلاّ في الشهوات فإذا تعلم فللشهوات وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوّأ أسمى المراكز فللشهوات، ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء[27].

هذا الحديث المتشنج لا يمثل حالة شاذة بل يكاد يصنّف صاحبه أحيانا من المعتدلين، نسبة لوجود قساوسة آخرين يتمنون لو ينقرض كل من له علاقة بالإسلام فالعنف في النوايا عند القساوسة يفسر حجم النجاح الذي حققه الإسلام، وتبعا لنظرية خيال الحال من النقيض فإذا كان الإسلام لا ينتشر بسرعة ولا يحقق أي نجاحات فلماذا إذن كل هذا التوتر والغضب؟.

قال القس توم هيوستن المدير الأول للجنة لوزان للتنصير المسيحي العالمي إن النشاط التنصيري سيزداد في السنوات القادمة مع اعتناق نحو 11 مليون شخص للمسيحية في جنوب وشرق

ووسط إفريقيا، وأضاف أن الكنيسة تصارع ظروفا مضادة لها، تتمثل في الصحوة الإسلامية فى دول الجنوب بما تقدمه لهم الدول الإسلامية من دعم، وعلى الرغم من ذلك فإن ما قامت به يعتبر إنجازا كبيرا، وزعم أن الكنيسة ستستمر في التوسع لأنها العنصر الوحيد الذي يقدم المساعدات الشخصية والفرح في الظروف الصعبة التي تمر بها الشعوب في إفريقيا الجنوبية حسب زعمه[28].

يبدو أن عملية التنصير تعاني بعض المشاكل لأن لهجة الخطاب التنصيري حادة ومباشرة، على الرغم من النجاحات التي ربما تحققت لهم وانخفضت نسبة المسلمين فى بعض أقطار الجنوب الإفريقي مثل ملاوي، فمثلا يواصل القس جيرالد سوانك حشد طاقته الفكرية لإيجاد حلول ومقترحات تزيد من نشاط المبشرين الذين يعملون وسط المسلمين، ويرى أنه يمكن الاستفادة من تجارب القساوسة الذين عملوا في إفريقيا فترات طويلة، ولكن ليس في الميدان لأن هؤلاء قد أصيبوا ببعض البرود ولم يستطيعوا فهم الحس العالي للحركة التنصيرية الحالية ويقترح عدداً من النقاط[29]:

أ. يجب أن نخطط لزيادة عدد المنصرين الذين نرسلهم إلى المناطق الإسلامية.

ب. يجب أن نتأكد من أننا نحتاج إلى أن نعرض الكتاب المقدس على المسلمين لفترة طويلة كي يفهموه.

ج. الحرية السياسية التي تتمتع بها النصرانية في هذه الأقطار هي إحدى أسباب انتشارها وتغلغلها.

د. يجب أن نجد طريقة نوصل بها رسالتنا إلى ذهن المسلم.

هـ. إن تقديم العون لذوي الحاجة من الذين نسعى لتنصيرهم أصبح أمرا مهما في عملية التنصير.

وفي تقرير قدم لندوة المؤتمر الإفريقي للكنائس الذي عقد في مدينة ممباسا الكينية قال القس منكير اساسياس: (أن الإنجيل يصل إلى مسمع كل رجل وامرأة وطفل في العالم وبلغة يستطيعون فهمها للتمكن من تنصيرهم) [30].

مثل هؤلاء المنصرين لا ينظرون للأجيال التي رأوها ولكنهم دائما ينظرون للأجيال القادمة وهدفهم الرئيسي مخاطبة الناشئة وليس الكبار، خاصة وأن منطقة الجنوب الإفريقي توجد بها نسبة عالية من الشباب، أما الكبار فيقدمون لهم المساعدات ويوفرون لهم الإمكانات حيث يسكنون، فمثلا (سنغور) الذي حكم السنغال لمدة عشرين سنة مسيحي بينما أفراد عائلته جميعهم مسلمون، و90% من سكان السنغال من المسلمين، ما حصل هو أن الكنيسة أخذته وعمره سبع سنوات وأدخلته مدرسة البعثة الكاثوليكية وقامت بابتعاثه إلي فرنسا في جامعة السور بون وبعد أن حصل على الدكتوراه رجع حاكما للسنغال[31].

يقول الدكتور نور ولى بعد زيارات عديدة قام بها لدول الجنوب الإفريقي إن هذه الدول فيها أعداد من المسلمين، وقد وجدنا أن جزءا بسيطا من الاهتمام ومن الدعم من المسلمين من الممكن أن يغير مسار هذه البلدان، ويعطي دفعة للناس لأنهم محبطون بسبب غياب المسلمين عنهم بينما التنصير ينفق بإمكانات كبيرة، فنجد قرية بكاملها من المسلمين في ملاوي مثلا تقام بها مدرسة تنصيرية وكنيسة، ونتساءل لماذا هؤلاء متواجدون؟ لابد أنه يوجد هدف وراء هذا التواجد، والحقيقة أن الناس يعانون من الفقر الشديد.. فهذا الفقر أدى إلى الغزو الذي حصل من المنظمات التنصيرية التي وفرت المدارس والمستشفيات و جعلت الناس تتنصر، يوميا في إفريقيا يتنصر 16 ألف شخص، بسبب توافر إمكانات ضخمة فالكنيسة عندها مدارس وجامعات ومستشفيات ونحن ليس لدينا من هذا، وفي العالم الإسلامي لدينا سبعة آلاف داعية مقابل ثمانية ملايين منصّرا، وهذا يجسد حجم الكارثة والفرق بين العمل الإسلامي والمسيحي، ويتضح حجم الفجوة أكثر من خلال الإمكانات الضخمة المتاحة للمنصرين[32]، وهذا الرقم حقيقي فقد ذكر (سوانك) بأن النصرانية تزيد في إفريقيا بمعدل 6% من مجموع سكان القارة الإفريقية[33]، وأكثر من نصف هذه النسبة في دول الجنوب الإفريقي نسبة لوجود أعداد كبيرة من الوثنيين.

ما جمع للكنيسة الأمريكية فقط في العام 1422هـ 164 مليار دولار، في حين أن المنظمات الإسلامية في السعودية والخليج و غيرها لا تصل ميزانياتها كلها مجتمعة إلى نصف مليار دولار، وفي عام 1416هـ كان المنصرون يملكون أكثر من 52 إذاعة وللمسلمين إذاعة واحدة، في عام 1985م بلغ عدد المنصرين 113 ألف منصرا، المستشفيات والمستوصفات التي أقامتها الإرساليات 1600 مستوصف ومستشفى، الدعم المالي أرتفع إلى 3.5 مليار دولار سنويا، ووصل عدد المدارس اللاهوتية لتخريج المنصرين 500 مدرسة وكلية وجامعة بالإضافة إلى 20 ألف معهد كنسي في أنحاء القارة الإفريقية[34]. وكانت الكنيسة الكاثوليكية تمتلك قوات مسلحة خاصة بها[35].

ويبدو أن هذا الإنفاق السخي من قبل الكنيسة قد أثر إلى حدٍ ما في اتجاه كل من التنصير والدعوة الإسلامية في منطقة الجنوب الإفريقي فهذه الإمكانات الهائلة لا شك تدخل كعنصر مؤثر وفعال في عملية التنافس بين الإسلام والمسيحية.

على الرغم من أن قيم ومبادئ وتعاليم الإسلام هي الأقرب إلى نفس الإفريقي ولكن من الصعب جدا أن تقنع فقيرا لا يملك قوت يومه بأن يتبعك لمجرد أنك على الحق أو الصواب، هذا مقبول من قبل المسلمين أصلا والذين لا يرقى الشك إلى نفوسهم، أما الوثنيون أو حتى المسيحيين واللادينيين وهم الغالبية العظمى من سكان الجنوب الإفريقي فإنه لا شك سيكون معيار الأفضلية عندهم بالخدمات والمساعدات المادية، وهذا ما عرفته الكنائس وظلت تغدق عليهم الأموال، ولكن ما إن يستقر الفرد

ويبعد عن الفقر حتى يبدأ رحلة البحث عن القيم والمبادئ والروحانيات، ومن ثم لا يجد غير الإسلام، فإن كان لا يزال تحت رحمة الكنيسة فإنه يصبح مخلوقا مزدوجا، ما بين قناعته بأن الإسلام هو الدين القويم والأصلح وما بين الوضع المريح الذي هو فيه، ولكن إذا وجد ما يعوضه ما عند الكنائس فإنه لا محال سيترك المسيحية ويعتنق الإسلام أو العكس تماما يمكن أن يحدث في أي دولة من دول الجنوب الإفريقي.

وقد أدى نشاط البعثات التبشيرية والاحتلال في تحالفهما ضد الإسلام إلى عزل كثير من المسلمين في الجنوب الإفريقي عن بعضهم البعض وعن العالم الإسلامي، وحدث تراجع واضح في نسبة المسلمين في كل أنحاء إفريقيا، وفي المقابل زادت نسبة النصارى بشكل واضح مما يؤكد بأن المسيحية وحركة التنصير تشكل تحديا كبيرا بالنسبة للإسلام في إفريقيا. في عام 1900م كانت نسبة النصارى في إفريقيا 10% أما في عام 1990م فقد ارتفعت النسبة إلى 57% هذا بكل تأكيد على حساب الإسلام والديانات الإفريقية الأخرى، كان عدد النصارى 1970م (120،257،000) نسمة وفي عام 1999م أصبح (333،368،000) نسمة[36]. وفي ملاوي كانت نسبة المسلمين قبل الاحتلال 60% والآن أصبحت 25% [37]. بينما كانت عام 1970، 32%[38]، كل ذلك تم بفعل حركة التنصير في إفريقيا والتي تقودها جميع الكنائس العالمية والمحلية.

التحدي الصهيوني:

إن الحديث عن التحديات التي تواجه الإسلام والمسلمين في إفريقيا – مهما كان مختصرا – لا يمكن أن يكتمل دون الإشارة لإسرائيل ودورها في القارة، ولعل أهم المحاور التي ظلت سياسة إسرائيل تدور حولها في إفريقيا هي أولا عزل الدول والمجتمعات العربية عن رصيفاتها غير العربية في القارة، مع توثيق علاقات الصداقة والتعاون بينها وبين الدول الإفريقية ضد الأفارقة العرب لا سيما دول حوض النيل وشمال القارة، ثانيا بسط نفوذها وسيطرتها على المواقع الإستراتيجية في البحر الأحمر والقرن الإفريقي تحقيقا لنفس الأهداف سالفة الذكر وبنفس الطرق والأساليب، ثم دعم تحالفها الاستراتيجي مع جنوب إفريقيا[39].

الاهتمام الصهيوني بإفريقيا يبدو واضحا من خلال الزيارات المتكررة التي قام بها المسئولين ووزراء خارجية إسرائيل منذ بداية عام 1958 عندما كانت وزيرة الخارجية غولدا مائير وتكررت بعد ذلك زيارات المسئولين الإسرائيليين لإفريقيا[40].

كذلك يركز المسئولون الإسرائيليون في دعايتهم علي عامل أيدلوجي آخر يحدد سياستهم تجاه إفريقيا وهو فكرة استخدام إسرائيل جسراً بين الشرق والغرب أي بين العالم النامي والعالم المتقدم، أو بين أوربا والعالم الآخر، وقد ظهرت هذه الفكرة جزءاً من سياسة إسرائيل ومحاولتها القيام

بدور عصري، وقد عبر عنها إلياهو إليات سفير إسرائيل الأسبق في لندن عندما قال: (إن المساهمة التي ستقدمها إسرائيل سوف تساعد علي إقامة صلات دائمة بين الشعوب الإفريقية النامية والعائلة الدولية من خلال تطوير أسس الفهم والتعاون المشترك) [41].

لليهود علاقات قديمة بإفريقيا منذ عهد النبي موسى عليه السلام ويقول التراث الإسرائيلي إن أبناء سليمان عليه السلام من بلقيس استقروا في بلاد الحبشة، لذلك فإن اليهود يدّعون حقا توراتيا في تلك المناطق الإفريقية المشاطئة للبحر الأحمر، كما دخلت أعداد من اليهود إلى إفريقيا مع رحلات الاستكشاف الأوروبية في القرون الوسطى وعمل اليهود بالسمسرة والتجارة[42]. لذلك استأثرت قارة إفريقيا باهتمام الدبلوماسية الإسرائيلية خاصة منذ أواخر الخمسينيات، فقبل ذلك حالت عقبات عديدة دون اتخاذ الجهود الإسرائيلية شكلا جديا واضحا، فمعظم دول القارة كانت واقعة تحت سيطرة الاحتلال المباشر للدول الغربية وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا. وبعد حملة سيناء عام 1956م وما أدت إليه من وجود صلات جغرافية مباشرة بين إسرائيل والدول الإفريقية عن طريق البحر الأحمر واستيلاء إسرائيل على مواقع في خليج العقبة، منذ ذلك الحين والأهداف الإسرائيلية تتبلور تجاه إفريقيا عموما في إطار ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الأول سياسيا، حيث سعت إسرائيل لكسر الحصار العربي حولها وتدعيم وضعها الدولي واكتساب تأييد الرأي العام ومحاولات إسرائيل استغلال وجودها في قارة إفريقيا بفرض قبول عربي بها.

أما الاتجاه الثاني، فهو اقتصادي تمثل في فتح الأسواق الإفريقية أمام الاقتصاد الإسرائيلي لاستيراد المواد الخام المتوافرة بكميات كبيرة في منطقة الجنوب الإفريقي الرخيصة الثمن والسهلة النقل عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر.

وتمثل الاتجاه الثالث في الأهمية الإستراتيجية لمنطقة القرن الإفريقي لإسرائيل فهي من خلال خلق وجود راسخ لها في المنطقة تستطيع تحقيق هدفين أساسيين هما: النفاذ في هذه المنطقة التي تعتبر مثابة موقع استراتيجي للدول العربية سوف يسبب متاعب للعرب ويشتت جهودهم. والهدف الثاني يكمن في تحقيق وجود عسكري فعال في البحر الأحمر نظرا لأهميته الحيوية للأمن الإسرائيلي من ناحية إفريقيا والمنطقة العربية[43].

وهكذا اعتبرت منطقة القرن الإفريقي بمثابة ميدان للمواجهة الإسرائيلية العربية غير المباشرة، وهو ما جعل إسرائيل تمارس دورا نشطا في المنطقة، وقد تمكنت الدبلوماسية الإسرائيلية خلال سنوات قصيرة من خلق روابط حقيقية مع غالبية الدول الإفريقية، وأحتل القرن الإفريقي موقع الصدارة باستثناء الصومال والسودان فقد أسهمت إسرائيل في مجالات النشاط الاقتصادي في كينيا وتنزانيا بالإضافة إلى علاقاتها الحيوية مع إثيوبيا وتحالفها القوى مع جنوب إفريقيا، وحتى مع قطع

الدول الإفريقية علاقاتها مع إسرائيل بعد عام 1973 فقد استمرت العلاقات الإسرائيلية الكينية والإثيوبية في النمو والتصاعد[44].

أصبحت إسرائيل اليوم تمثل ركيزة الاحتلال في صورته الجديدة داخل إفريقيا، وقد اتخذت لنفسها طرحا سياسيا وكيانا ذاتيا داخل هذا التخطيط الاستعماري الجديد في محاولة جادة منها لتحقيق أهدافها على حساب العرب. فالاختراق الإسرائيلي لإفريقيا يجري على قدم وساق وبصورة علنية ولم تعد إسرائيل في حاجة للعمل السري والتخفي لأسباب كثيرة منها[45]:

1. أن إسرائيل أصبحت دولة لها كيان وسيادة معترف بها دوليا.
2. لها قوة عسكرية ضاربة في المنطقة بل على المستوى العالمي.
3. استجابة الدول الإفريقية لدعوة إسرائيل وعروضها في العمل داخل الدول الإفريقية في المجالات المختلفة.
4. انضمام عدد كبير من القادة والزعماء الأفارقة لمنظمات الماسونية
5. هنالك عدد كبير من المشروعات الإفريقية تتبناها المنظمات الصهيونية والماسونية.

ولقد كان هدف الماسونية الأساسي هو هدم البابوية ولكن الهدف أيضا امتد إلى القضاء على أكبر مركز ديني في أوروبا وهو الكنيسة الروسية، ثم امتد مرة أخرى إلى القضاء على الخلافة الإسلامية في تركيا، وقد تحقق ذلك في سنوات قليلة متتالية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ومعنى هذا أن أكبر مكاسب هذه الحرب قد حصلت عليها الصهيونية وتعمل المنظمات اليهودية في إفريقيا وتقوم بأعمال التجسس لصالح إسرائيل والولايات المتحدة[46].

على الرغم من أن اليهود قد اعتبروا دينهم خاصا بهم كما احتكروا الإله وسموه تارة إله إسرائيل وتارة أخرى إله الجنود، ولا ذكر لرب العالمين في كتب اليهود وديانتهم إلا أنهم يسعون إلى هدم باقي الأديان خاصة المسيحية والإسلام، وقد لعب الصليبيون دورا هائلا في التخطيط لقيام إسرائيل وفي تنفيذ التخطيط وفي حراسة إسرائيل بعد أن قامت[47]، ولم يشفع للمسيحية هذا الدور الذي لعبته وتلعبه في تأمين إسرائيل واستطاعت الصهيونية العالمية أن تحقق نجاحا كبيرا في أوروبا وأمريكا وأن تحكم كلا من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة من وراء الستار، ولم ينقض القرن التاسع عشر ويدخل العالم في بداية القرن العشرين حتى كان اليهود يسيطرون في أغلب دول أوروبا وأمريكا على كل الاقتصاد.عن طريق الحركة الصهيونية العالمية المنتشرة في كل أنحاء العالم[48].

والصهيونية العالمية ليست (جمعية) أو (اتحادا) عالميا بقدر ما هي (روح) متوارثة بين يهود العالم، كونها الاضطهاد المزمن والإذلال الطويل المدى والقسوة أحيانا التي كان يعامل بها اليهود الموزعون بين دول العالم طيلة قرون عديدة، وهذه الروح دفعتهم إلى جمع المال وادخاره ثم الدخول به

مجال النفوذ في السياسة والتوجيه فكان النظام الرأسمالي[49].

وقد استطاعت اليهودية أن تخدع المسيحية الأوروبية والأمريكية ففي نفس الوقت الذي تعمل فيه الصهيونية على تدمير المسيحية فإنها تستغلها لتدمير الإسلام أولا غير أن المسيحيين اندفعوا أيضا لأن الديانة الإسلامية في نظرهم ديانة وثنية متطرفة فكان تأييدهم لإسرائيل وسيلة من وسائل الحد من خلق وحدة عربية إسلامية[50].

ولا ريب أن اليهودية العالمية هي التي أثارت في العالم الإسلامي تمزيق وحدة العروبة والإسلام للحيلولة دون الوحدة، وعملا على تعميق التجزئة والإقليمية، لذلك فإن هدف اليهودية الأساسي هو تحطيم المعتقدات الإسلامية وسحق القيم المعنوية والإنسانية وإثارة الشكوك حول المعتقدات، وطرح فلسفات الشك والإلحاد والإباحية في المجتمع الإسلامي، وإشاعة روح الرذيلة على العالم والتي يعتبرها اليهود وسيلة موازية لجمع المال لتحقيق أغراضهم[51].

دأبت الأبحاث الإسرائيلية التي تتناول القيم والمفاهيم الإسلامية وعلاقتها بالصراع العربي الصهيوني على تشخيص الدين الإسلامي كأهم العناصر الخطرة التي تزرع العداء لدى العرب ضد إسرائيل من خلال المحاور الإسلامية التالية[52]:

أولا: القاعدة الشرعية الشائعة بين المسلمين تفيد أن فلسطين المحتلة تعتبر دار حرب لا يحق للمسلم المصالحة بشأنها، والجهاد في سبيل الله لتحريرها هو فرض عين على كل مسلم.

ثانيا: زرع فكرة العداء للأجيال الجديدة عن طريق السيرة النبوية الشريفة التي تتحدث عن خيانة اليهود للرسول (ص).

ثالثا: علماء المسلمين يتهمون اليهود بمحاولة تشويه الدعوة الإسلامية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من خلال دس سمومهم المعروفة بالإسرائيليات.

خطر اليهود لا يقاس بدولة إسرائيل معزولة عن قوة اليهود العالمية ولا بمضاعفة إسرائيل علي هذا النحو ألف ضعف بل بالتسلط الفكري والسياسي وهو مكفول للصهيونية، فهم من أعظم سادة العالم بنفوذهم وبهذا يقاس خطرهم[53].

أدركت إسرائيل والقوى الاستعمارية أهمية القيادات الوطنية والمثقفة في إفريقيا مع المد التحرري الذي بدت عليه الحياة السياسية الإفريقية، فكان اقترابها البارز من نكروما ونيريري وسنغور أكثر من غيرهم، وقد كان وزن هؤلاء في حركة التحرر الإفريقية ضروريا لإسرائيل والغرب عامة، لتحجيم صلة هذه الحركة بحركة التحرر العربية، وقد أفاد في هذا الأمر ميراث الصهيونية والإفريقيين المبكر من جهة، وطبيعة ميراثهم من الفكر الليبرالي وحتى اليساري الأوربي في توجهه نحو إسرائيل من جهة أخرى، وقد استعملت التناقضات الثانوية بين الحركتين والسلبيات التاريخية والثقافية بين

المجموعتين لتجعل لقاء الصهيونية والإفريقيين بديلا للالتقاء بين حركات (دان فودي) و(ساموري) و (عمر تال) مع حركة الرفض المبكرة للغزو الغربي في المنطقة العربية والإسلامية[54].

وكانت إسرائيل تمضي سريعا لبناء شرعية لوجودها بمزيد من الاعتراف بها على مستوى العالم الثالث، والخروج من الهامشية التي تهدد وجودها في هذا العالم منذ أن حاصرتها الحركة العربية وعزلتها عن مؤتمر باندونغ ومؤتمر الشعوب الآسيوية – الإفريقية وبدأت الدعوة لعدم الانحياز.. الخ، لم تكن إسرائيل تسعى لبناء مصالحها المادية إذ لم تزد تجارتها مع إفريقيا طوال الستينيات عن 70مليون دولار بينما قفز تمثيلها الدبلوماسي في إفريقيا من 6 بعثات عام 1960 إلى 23 بعثة عام 1972م، وليست مصادفة أن حوالي 13 دولة أفريقية فرانكفونية بالأساس هي التي كانت تتقدم للجمعية العامة للأمم المتحدة بمشروع طلب التفاوض بين العرب وإسرائيل[55].

ولكن اعتماد إسرائيل الأول في كسب ود الأفارقة وتزيين صورتها في أنظارهم لم يكن قائما على استغلال نقائص منافسيهم (العرب) والسعي لتوكيدها وإبرازها – وإن كان ذلك بالطبع من أهم عناصر دعايتها – بل على ما حرصت على تعميقه في أذهان الأفارقة ونفوسهم من إيجابياتها الذاتية، خاصة ما كان متفقا مع مصالح الأفارقة، متسقا مع ميولهم النفسية واتجاهاتهم السياسية. ولا شك أن أهم السمات البارزة في ذلك الباب تصوير إسرائيل لنفسها تجاه الأقطار العربية المحيطة بها في صورة داود تجاه جالوت وهي صورة إنجيلية موحية بالتعاطف (الممتزج بالإعجاب) مع الدولة الصغيرة القادرة رغم صغر حجمها وقلة سكانها على إنزال الهزائم المخزية بأعدائها الكثيرين، حال داود الصغير المستهان به من قبل جالوت الكبير الذي لم يمنعه حوْله وطوله من الانهيار المذل أمام داؤود القوي بإيمانه وعزمه وبراعته. وكما قد يتوقع مست هذه الصورة أوتارا حساسة في قلوب الكثيرين من الأفارقة الحريصين بحكم تاريخهم الحديث في النضال من أجل الحصول على الاستقلال وعلى الذود عن ذلك الاستقلال والطامحين في الوقت ذاته لبناء دول ومجتمعات حديثة تتمتع (مثل إسرائيل) بالمنعة العسكرية والفعالية السياسية[56].

بالنسبة إلى علاقات إسرائيل مع البلدان الإفريقية هنالك ما يدعو إلى القول بأن بعض البلدان الإفريقية قد بدأت هذه الخطوة ووجدت في توقيع مصر على اتفاقية – كامب ديفيد- سببا للتحلل من موقف المقاطعة المعلنة أو المستترة مع إسرائيل، وبذلك أصبح سهلا لإسرائيل تحقيق الأهداف الاقتصادية والسياسية التي تعمل من أجلها[57].

ويسعي الصهاينة إلي توثيق علاقاتهم السياسية والاقتصادية والعسكرية مع جنوب إفريقيا وزامبيا وزيمبابوي ويساندون عمليا كافة تحركاتهم الاقتصادية والعسكرية في مجال السياسة الخارجية[58].

أما علاقة إسرائيل بجنوب إفريقيا فإنها لم تتوثق فجأة كبديل لعلاقاتها بدول القارة التي قطعت علاقاتها بإسرائيل عام 1973م إن كان التطور الاستراتيجي الكبير الملحوظ في السنوات الأخيرة لافتا للنظر فعلا فإنه يدخل بالتأكيد في إطار تطور العلاقات الإستراتيجية بين إسرائيل والقوى الإمبريالية عامة بالإضافة لتطور طبيعة البيئة الاقتصادية الاجتماعية لإسرائيل نفسها، إن إسرائيل وجنوب إفريقيا في الخمسينيات والستينيات كانتا تقومان ببناء نظامهما الداخلي حتى تأمينه بالعلاقات الخارجية، إسرائيل من أجل الشرعية في العالم الثالث وجنوب إفريقيا بالصمود للتحدي بمواجهة حركة التحرر الإفريقية وزادت تجارة إسرائيل مع جنوب أفريقيا لثلاثة أضعاف بين الأعوام 1973-1980 بينما لضعف واحد مع باقي إفريقيا[59].

وإسرائيل ليست بمنأى عن الذي يجري في جنوب إفريقيا، فهي وثيقة الصلة بأمريكا ووثيقة الصلة مع جنوب إفريقيا: وثيقة الصلة معها لأنهما أساسا جزء من حركة التوسع الأوروبي والأمريكي في القرنين التاسع عشر والعشرين للسيطرة على الشعوب الأخرى، وهي وثيقة الصلة بجنوب إفريقيا لأن الصهيونية والعنصرية وجهان لعملة واحدة، وطبيعة كل من إسرائيل وجنوب إفريقيا واحدة، كلاهما ثمار لغرس من خارج المنطقتين مفروض على السكان الأصليين، ولهذا لم يكن غريبا أن تشارك إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م و أن تعارض ثورة الجزائر و أن تؤيد الحركات الانفصالية في إفريقيا وأن تضم جنوب لبنان و أن تدعم النظام العنصري في جنوب إفريقيا عسكريا واقتصاديا، وبالمثل فإن جنوب إفريقيا تقوم بهدف مماثل: الهجوم على موزمبيق وأنجولا بهدف إنهاكهما وإضعافهما وتوجيه الضربات لحركات التحرر هناك[60].

ويتكرر رسميا في المعسكر الغربي وخاصة في الولايات المتحدة أن هناك التزاما مطلقا بالمحافظة على أمن إسرائيل وجنوب إفريقيا، من خلال المحافظة على التفوق العسكري لكل من الدولتين على المنطقة التي زرعت فيها، وليس ذلك إلا للمشاركة بالإمكانات المتاحة لكل منهما في المهمات الإمبريالية التاريخية منذ حركة التحرر الوطني ومنذ خطر الثورة العربية والإفريقية[61]، أو ضد حركة المد الإسلامي بشكل أدق لأن الالتقاء بين العرب والأفارقة لا يكون إلا بالإسلام.

إن كلا من إسرائيل وجنوب إفريقيا تعتبر نفسها مركزا أماميا من مراكز الغرب – دولا وشركات ومؤسسات – وأنها تقوم بدورها في حماية الحضارة الغربية وفي الحيلولة دون تحول المنطقة التي تسيطر عليها إلى حالة من(الفوضى المعادية للغرب). وهكذا تلتقي توجهات هذه الدول الاستيطانية مع توجهات الدول الغربية الكبرى، خاصة الولايات المتحدة لبناء نظم دولية فرعية محورها دولة إقليمية عظمى، مثلما تقوم إسرائيل وجنوب إفريقيا بتولي مهمة الإشراف على تطور المنطقة التي تسيطر عليها، وتضمن ألا تتجاوز في نموها وتوجهاتها وعلاقاتها حدا يعرض المصالح الغربية فيها

لخطر جدّي أو تهديد حقيقي.

معنى ذلك أن إسرائيل وجنوب إفريقيا تسمحان للسياسة الأمريكية بأن تحقق هدفين لم تستطع هذه الأخيرة أن تحقق أيا منهما في أي منطقة أخرى من محاور ارتكازها الدولي من جانب القدرة على التحكم في المنطقة، بمعنى القيام بوظيفة أداة (التأديب) لكل من تسول له نفسه أن يشكك أو يتحدى السياسة الأمريكية، ومن جانب آخر هي قادرة على أن تحقق هذا الهدف دون أن تتورط القيادة الأمريكية عسكريا في عملية (التأديب) والتعامل مع القوى المحلية[62].

إن تحليل دور إسرائيل وجنوب إفريقيا (كبيوت خبرة) هو تحليل مهم في الواقع، ولكن هنالك ضرورة للتمييز الدقيق بين دور إسرائيل في المنطقة العربية وإفريقيا ودور جنوب إفريقيا في القارة الإفريقية وخصوصا في الجنوب. فبينما تستطيع الأقطار العربية أن تعيش بمعزل عن إسرائيل، بل بإمكانها إن أرادت أن تضع ضغوطا فعالة ضدها، ألا أن الوضع يكاد يكون مختلفا بالنسبة لجنوب إفريقيا فاقتصاديات زامبيا وزيمبابوي وموزمبيق وبتسوانا وسوازيلاند وليسوتو ترتبط ارتباطا وثيقا بجنوب أفريقيا منفذها الوحيد إلى الخارج[63].

من جانب آخر فإن إسرائيل ومن خلال تحالفها الاستراتيجي مع جنوب إفريقيا فإنها تضمن موقف كل دول الجنوب الإفريقي من خلال تأثير دولة جنوب إفريقيا عليها، وهذا ما يفسر عدم مقاطعة دول الجنوب الإفريقي لإسرائيل في عام 1973م. ففي الوقت الذي قاطعت فيه الدول الإفريقية إسرائيل لاحتلالها جزءاً من الأراضي الإفريقية في مصر، واستمر عدد الدول الإفريقية المقاطعة لإسرائيل يتزايد منذ الأسبوع الأول من كانون الأول/ ديسمبر حتى بلغ اثنتين وأربعين دولة أي جميع الدول الأعضاء في المنظمة الإفريقية باستثناء الأربع الواقعة تحت النفوذ المباشر لجنوب إفريقيا: وهي ملاوي وليسوتو وسوازيلاند وبوتسوانا[64].

ونتيجة لذلك حصل تراجع واضح في مواقف بعض الدول الإفريقية تجاه قضية فلسطين، ويلاحظ أن المقاطعة الدبلوماسية للكيان الصهيوني لم تقترن بمقاطعة اقتصادية، بل إن الفترة قد شهدت ازدهارا في العلاقات الاقتصادية والثقافية مع الدول الإفريقية، وفي عام 1975م كانت هناك 27 دولة إفريقية تتبادل التجارة مع إسرائيل، وأن قيمة هذا التبادل التجاري كانت 66.4 مليون دولار بزيادة قدرها 16% عن مستويات التبادل التجاري لعام 1974م، ثم ازداد التبادل التجاري وارتفعت قيمته إلى حوالي 100 مليون دولار عام 1977م.كما ازداد عدد الخبراء وممثلي الشركات الإسرائيلية في الدول الإفريقية على الرغم من المقاطعة للعلاقات الدبلوماسية، كما استوردت إسرائيل النفط من الجابون، وزار مسئول إسرائيلي كبير تسع دول إفريقية غير عربية[65].

مثل ما حدث بين إسرائيل ودول الشرق الأوسط فإن الدول العربية أكثر ثراء من إسرائيل من

ناحية الدخل، ورغم تفوق العرب في الثروة والعدد فإن الإسرائيليين احتفظوا بتفوق عسكري أكبر من العرب، إن تفوق المهارات على الدخل كان العامل الحاسم في الحروب العربية الإسرائيلية، في جنوب إفريقيا وإسرائيل فإن المتغير الثقافي عامل مهم، فإذا اعتمدت إسرائيل علي يهود الشرق الأوسط فإن العرب كان يمكنهم هزيمتها في كل حرب، ولكنهم اعتمدوا علي اليهود الغربيين، وهذا يعني أنه يمكن للأقلية مهما كانت صغيرة إذا امتلكت الوسائل والمهارات التكنولوجية الحديثة وما يصاحبها من ثقافة إدارية وتنظيمية تستطيع أن تتفوق علي الكم العددي والثروة الضخمة[66].

الهوامش:

1. إيبيانك مودواي ساراواك:لماذا اعتنقت الإسلام، من روما إلى مكة، دار الحضارة للطباعة والنشر بيروت 1986، ص 33
2. الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص 159
3. حقار محمد أحمد: الخصائص الدينية والثقافية، الخصائص المؤثرة في الدعوة في إفريقيا، المحور الثاني في الدعوة الإسلامية في إفريقيا ومؤسساتها (الخصائص-الواقع- التطور) جوهانسبرج جنوب إفريقيا 6-1423/7/9ه منتدى الملك فهد بن عبد العزيز.ص 29
4. بابكر حسن قدرماري:مرجع سابق، ص 84
5. الناصر أبوكروق: التنصير الحديث في إفريقيا، خلفيته وبعض وسائله، في التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ص133
6. صلاح العقاد المغرب العربي الجزائر تونس المغرب الأقصى، دراسة في تاريخه الحديث، الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1966م ص 16
7. عون الشريف قاسم: مدثر عبد الرحيم والتجاني عبد القادر، ص27
8. باول شمتز:الإسلام قوة الغد العالمية، ترجمة محمد شامة، مكتبة وهبة القاهرة 1974، ص 64
9. عبد الرحمن محمد سعيد: المواجهة بين المسيحية والإسلام عبر القرون وانحسار الهجوم الصليبي على محمد والإسلام في التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا، تحرير حسن الناطق ص 41-68، ص 55
10. عون الشريف قاسم: حسن الناطق، ص 202
11. حقار محمد أحمد: مرجع سابق، ص 47
12. نفس المرجع: ص 49
13. جيرالد. او. سوانك: مقارنة بين النصرانية والإسلام في وسط وجنوب أفريقيا، من التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين أيري بولاية كلورا دو الأمريكية سنة 1978، ونشرته دار MARC للنشر بعنوان THE GOSPEL AND ISLAM. A1978 compendium ص 325-348، ص 345
14. عبد الجليل شلبي: الإرساليات التبشيرية، نشأة التبشير وتطوره وأشهر الإرساليات التبشيرية ومناهجها، منشاة المعارف بالإسكندرية 1987، ص 247
15. محمد محمود الصواف: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، دار الثقافة مكة المكرمة 1965، ص 18-19
16. سفر بن عبد الرحمن الحوالي: العلمانية نشأتها ونفوذها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة مطابع جامعة أم القرى، 1402ه -1982م، ص 535.
17. نفس المرجع: ص 556.
18. ايبياتك مودوادي ساوراك: مرجع سابق، ص 147
19. احمد شلبي: مرجع سابق، ص44
20. جيرالد.او. سوانك: ص 328
21. حسن مكي محمد أحمد: مرجع سابق، 1983، ص 18
22. جيرالد.او.سوانك: مرجع سابق ص -345 346
23. أنور الجندي: مرجع سابق، ص 381
24. المرجع السابق: ص -27 328
25. محمد عثمان صالح: خطة تنصير المسلمين كما وردت في مؤتمر كلورا دو بأمريكا الشمالية 1978م، في حسن

الناطق وتاج السر بشيرص-53 67، ص 55

26. خالد سر الختم: صور الاختراق الاستعماري والكنسي في إفريقيا ص 277-288، ص 279

27. عبد الله التل: جذور البلاء، بيروت 1390هـ، ص 275

28. وكالة الإنباء الإسلامية: أحداث العالم الإسلامي، شؤونه وقضاياه، الكتاب السنوي أخبار وتقارير الكتاب السادس، -1416 1417هـ الموافق1996، ص 19

29. جيرالد. أو.سوانك: مرجع سابق ص 244

30. وكالة الأنباء الإسلامية: مرجع سابق ص 20

31. LEXICON ، UNIVERSAL ، ENCYCLOPEDIA ، DELUX HOME EDITION. New YORK ، 1994 P203

32. عبد الوهاب نور ولي: مرجع سابق

33. جيرالد سوانك ص 330

34. صالح بن عثمان الوهيبي: التنسيق والتعاون بين المؤسسات الإسلامية في إفريقيا، العقبات والحلول واستعراض بعض التجارب الناجحة في الدعوة الإسلامية في إفريقيا ومؤسساتها (الخصائص – الواقع- التطوير-) المحور الرابع جوهانسبرج 6-9/7/ 1423ه، ص 25

35. John.J. Considine: Africa World of new Man ، Dodd. Mead ، New York 1954

36. صالح الوهيبي: مرجع سابق، ص 26

37. عبد الوهاب نور ولي: مرجع سابق

38. جيرالد سوانك: مرجع سابق، ص 340

39. مدثر عبد الرحيم: الإسلام في القارة الإفريقية. آفاق المستقبل، في الإسلام في إفريقيا ص 9-26

40. ياسر عبد القادر: التقلقل الصهيوني في إفريقيا، إشارة للعلاقات الصهيونية الإثيوبية، جامعة إفريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية بدون تاريخ ص 24

41. عواطف عبد الرحمن و حلمي شعراوي: إسرائيل وإفريقيا 1948-1985م، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي القاهرة 1985م، ص 28

42. حسنات عوض ساتي: المنظمات والجمعيات السرية اليهودية والاختراق الاستعماري في إفريقيا في التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا ص -149 160 ص 154.

43. فتحية التيراوي ومحمد نصر مهنا: قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية، بين الماضي والحاضر والمستقبل منشأة المصرف بالإسكندرية 1983م، ص 319

44. نفس المرجع ص 320

45. حسنات عوض ساتي: مرجع سابق، ص 155

46. أنور الجندي: مرجع سابق ص 419

47. أحمد شلبي: الحروب الصليبية، بدؤها مطلع الإسلام واستمرارها حتى الآن مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1986م، ص 171

48. عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية « الطبعة الثانية»دار القلم، مصر 1965 ص 18

49. أنور الجندي: مرجع سابق ص، 171

50. محمد البهي: خمس رسائل إلى الشباب المسلم المعاصر مكتبة وهبة القاهرة 1977 م، ص 35

51. أنور الجندي: الإسلام والعالم المعاصر ص 427
52. غسان حمدان: التطبيع، إستراتيجية الاختراق الصهيوني ص 141
53. محمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي، بروتوكولات حكام صهيون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد مطابع دار الكتاب العربي بمصر 1961م، ص 79
54. حلمي شعراوي: السياسة الإسرائيلية في إفريقيا في العرب وإفريقيا، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، الطبعة الثانية ص -325 326، ص 328
55. نفس المرجع: ص 328
56. مدثر عبد الرحيم: نظرة إفريقيا للصراع العربي الإسرائيلي، في العرب وإفريقيا، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، الطبعة الثانية 1987، ص 387-408، ص 396-397
57. محمد عمر بشير: تعقيب، في إفريقيا والعرب، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، الطبعة الثانية 1987، ص 362-366
58. حمدي الطاهر: إفريقيا بين العرب وإسرائيل، مكتبة الآداب القاهرة، 1418هـ 1997م، ص 11
59. محمد عمر بشير: مرجع سابق، ص 363
60. مجدي حماد: العلاقات العربية الإفريقية في المنظور الغربي والسوفيتي، في العرب وإفريقيا، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، الطبعة الثانية 1987، ص 179-215، ص 211
61. مجدي حماد: العلاقات العربية الإفريقية في المنظور الغربي والسوفيتي، في العرب وإفريقيا، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، الطبعة الثانية 1987، ص 179-215، ص 211
62. عبد المنعم المشاط: تعقيب3، في إفريقيا والعرب، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، الطبعة الثانية 1987، ص -224 227، ص 226
63. مدثر عبد الرحيم: مرجع سابق ص 403 – 404.
64. نفس المرجع، ص 405.
65. عبد الملك عودة: تقويم تجربة التعاون العربي – في العرب وإفريقيا، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، الطبعة الثانية 1987، ص -637 676، ص 666.
66. Ali A. Mazrui: op. cit، p. 172